



الحالة النفسية للمتعاملين في البورصة

أو على الأقل يجعلنا نفهم ونتوقع حركة السوق صعوداً وهبوطاً بشكل منطقي وواقعي، فلا نضاجاً بهبوط هنا أو انهيار هناك، ويجعلنا لا نضع مستقبلنا ومستقبل أبنائنا بل ومستقبل العالم في أيدي مجموعة من المستثمرين الذين يمكن أن يسقطوا في لحظة ما وفي ظروف ما وربما بشكل مفاجئ، أي أننا بحاجة إلى التفكير في كيفية تحقيق «الأمن الاقتصادي المحلي والعالمي»، فرجال المال والاقتصاد وحدهم ليسوا قادرين على هذا الأمر كما كنا نظن.

طبيعة البورصة وعلاقتها بالحالة النفسية:

ويختلف الاستثمار في البورصة عن الاستثمارات التقليدية الأخرى، فالبورصة فيها الكثير من العوامل التي لا يملك المستثمر السيطرة عليها، فهو يشتري أسهماً في شركات لا يديرها هو وربما لا يعلم كل شيء عن أحوالها فضلاً عن أسرارها، كما أن هذه الشركات تتعرض للصعود والهبوط بناءً على عوامل داخلية فيها وبناءً أيضاً على عوامل خارجية في السوق المحلي والسوق العالمي. ولكي نرى الأمر بشكل أكثر شمولية وتعقيداً فإن أحوال الشركات التي تضمها البورصة تتأثر بالأحداث السياسية والاجتماعية والنفسية في المجتمع المحلي والمجتمع العالمي، وهذا يجعل أمر التنبؤ بأحوال الشركات وبأسعار الأسهم صعوداً وهبوطاً أمراً صعباً حتى

جائزة نوبل والمجال النفسي الاقتصادي:

وفي الماضي لم يهتم أحد بدراسة العلاقة بين الحالة النفسية والتعاملات المالية بشكل علمي، ولهذا فقد حصل العالم النفسي دانيال كانيمان Daniel Kahneman أستاذ علم النفس في جامعة برينستون على جائزة نوبل في الاقتصاد عام ٢٠٠٢م حين أجرى أبحاثاً ربطت بين الاقتصاد وعلم النفس، أي باختصار سلط الضوء على العلاقة بين الفلوس والنفس.

وقد أوضحت دراسات «كانيمان» وغيره أن المستثمرين . مثلهم مثل بقية الناس . يستجيبون انفعالياً للأخبار والحقائق وربما الشائعات، وأن الفكرة النمطية السائدة بأن رجال المال ليست لهم قلوب بمعنى أنهم يتعاملون فقط بعقولهم الموضوعية التحليلية هي فكرة غير حقيقية، فقد تبين في مواقف كثيرة وخاصة عند الهبوط الحاد في البورصة أن مستثمرين كبار ينتابهم قلق زائد وربما يصابون بحالات اكتئاب، مما يؤدي إلى اضطراب قراراتهم في البيع والشراء، ويؤدي أيضاً إلى اضطراب حياتهم الشخصية والعائلية. وتأتي أهمية دراسات «كانيمان» في أنه وضع أسساً حقيقية لتفاعل العامل البشري بكل جوانب قوته وضعفه مع العمليات الاقتصادية بتعدد وتعقيدات العوامل المؤثرة فيها، وقد يشكل هذا قاعدة لوضع نظم مالية أكثر واقعية وأكثر استقراراً،

أقيمت بمقر الجمعية العالمية الإسلامية للصحة النفسية ندوة ثقافية وذلك يوم ١١ من شهر ديسمبر الجاري وكان عنوان المحاضرة: (الحالة النفسية للمتعاملين في البورصة).

وقد أقيمت المحاضرة بقاعة المؤتمرات بمستشفى الدكتور جمال ماضي أبو العزائم للطب النفسي بمدينة نصر بالقاهرة وقد حضر في الندوة الأستاذ الدكتور محمد المهدي استشاري الطب النفسي والأستاذ بكلية الطب جامعة الأزهر.

وقد بدأ د. المهدي الندوة قائلاً: بأنه منذ اشتعلت أزمة البورصة العالمية في نهايات عام ٢٠٠٨ تم الإعلان عن حالات انتحار في مصر بسبب الهبوط الحاد والخسائر الفادحة، وهذه هي الحالات الصارخة العلنية ولسنا ندرى كم هي الحالات التي أصيبت بجلطات في القلب أو المخ أو ارتفاع في ضغط الدم أو القلق أو الاكتئاب أو المشكلات العائلية والاجتماعية المترتبة على كل ذلك، ولسنا ندرى أيضاً عن أثر تلك الحالة من الهلع والذعر على قرارات المتعاملين في البورصة وكيف أدت إلى مضاعفة الخسائر. وساد شعور عام لدى الناس بالخطر، وايقنوا أن النظام الاقتصادي العالمي ليس نظاماً راسخاً كما كانوا يظنون، وأن رجال المال والاقتصاد ليسوا موضوعيين أو عقلانيين أو منطقيين تماماً كما كنا نعتقد فيهم، وأن ثمة حاجة لتغييرات جذرية في النظم المالية الحالية، تجعلها أكثر أماناً وأكثر استقراراً. وقد جاء في تصريح الدكتور

محمد النجار أستاذ الاقتصاد تعليق على أزمة البورصة العالمية وانعكاساتها على السوق المصرية: «إن الأزمة طالت البورصة المصرية بشكل حاد بسبب عوامل نفسية... وهذه حقيقة حيث إن الأزمة العالمية سببها . كما يقول محمد عبد القوي، محلل سوق المال . الإفراط في عمليات الرهن العقاري وتمويل شراء العقارات في أمريكا دون ضمانات مما أدى إلى كارثة حقيقية.. وأن السوق المصرية في مأمن عن حدوث تلك الأزمات نظراً لصغر سوق التمويل العقاري في مصر. إذن فخسارة البورصة المصرية (والتي يقدرها الاقتصاديون بحوالي ١٥٠ مليار جنيه في شهري سبتمبر وأكتوبر ٢٠٠٨) سببها حالة القلق والارتباك الشديد لدى المستثمرين جراء متابعتهم للأنباء السلبية في سوق المال العالمي مما دفعهم إلى البيع العشوائي والمتسرع للأسهم (جريدة الدستور ١٢/١٠/٢٠٠٨م).

على المستثمرين المحترفين الذين يقومون بعمليات تحليل علمية لأحوال السوق ويتخذون قراراتهم بناء عليها.

وهذا لا يعنى أن عمليات التحليل هذه غير مفيدة وغير مؤثرة بل هي في الحقيقة تؤدي إلى درجة من المعرفة الموضوعية والحقيقية لأحوال السوق وتقلباته وتؤدي إلى زيادة المكسب وتقليل الخسائر، ولكن مع هذا لا تملك التنبؤ الكامل بكل الأحداث والتقلبات، نظراً لكثرة تلك الأحداث وفجائية التقلبات أحياناً كثيرة. وبناء على هذا نجد أن بعض الناس لا يفضلون التعامل في البورصة ويقومون باستثمار أموالهم في مشروعات تقليدية كإنشاء مزرعة أو سوبر ماركت أو مستشفى أو مصنع، وهذه المنشآت يديرونها هم بأنفسهم، وكل شيء فيها يجري تحت أعينهم، وعوامل المكسب والخسارة غالباً لا تكون فجائية، ولكن يعيب هذه الاستثمارات أن عائدها محدود نسبياً، وتحتاج إلى إشراف مباشر من صاحب المال وتحتاج لخبرة ربما لا يملكها صاحب المال، كما أنها ربما لا ترضى طموح الأشخاص الذين يرغبون في تحقيق ثروات كبيرة في زمن قياسي من خلال المساهمة في المشروعات الكبيرة أو العملاقة.

ويتعب كثيراً ويخسر من يتعامل في البورصة وهو لا يعرف طبيعتها، فمثلاً من أساسيات البورصة حالات الصعود والهبوط، فالبورصة ليست للمكسب فقط بل للخسارة أيضاً، ويشير إلى أن تاريخ البورصة يقول بأن حالات الهبوط مهما كانت شديدة إلا أنها بالضرورة مؤقتة وسيبعتها حتماً حالات صعود مرة أخرى. والبورصة شديدة الحساسية للأحداث سواء كانت أحداثاً اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، وبما أن الأحداث مؤقتة وعابرة في أغلبها، وأن الحياة تسير وتتطور رغم تلك الأحداث إذن فالبورصة أيضاً تعلق وتهبط ولكنها في النهاية تسير، وغالباً يكون مسارها في الصعود بشكل عام رغم الهبوطات الطارئة من وقت لآخر، وهذه طبيعة الحياة عموماً، والبورصة جزء من الحياة.

إذن لو حاولنا أن نلخص طبيعة البورصة في كلمات قليلة نقول هي: التقلبات، الغموض النسبي، المفاجآت، تعدد العوامل المؤثرة، ضعف السيطرة، الحاجة

لاتخاذ قرارات مهمة في وقت قياسي رغم قلة المعلومات المتاحة، احتمالات المكسب والخسارة طول الوقت. وهذه السمات المميزة للبورصة تجعل بعض الناس ينظرون إليها على أنها ليست استثماراً شريفاً بل نوع من المقامرة.

نظريات الاستثمار وأنواع المستثمرين:

ينقسم المستثمرون إلى نوعين طبقاً لما يتبعونه من نظريات الاستثمار:

١. المستثمرون الذين يتبعون نظرية التوقع والاحتمالات:

وهؤلاء يقيمون خياراتهم على أساس احتمالات المكسب والخسارة نسبة إلى نقطة مرجعية معينة، فهم يقبلون السوق بطبيعته، ويضعون نقطة مرجعية يصعدون ويهبطون وأعينهم على هذه النقطة، ويحسبون ناتج المكسب والخسارة معاً انطلاقاً منها ورجوعاً إليها، وبالتالي فهم يتحركون مع السوق صعوداً وهبوطاً دون فزع لأن أعينهم على الناتج النهائي للمكسب والخسارة، باختصار شديد هؤلاء الناس يتميزون بأنهم يعتبرون المكسب والخسارة أحداثاً عادية في البورصة ويتعاملون على هذا الأساس، ويفيدهم هذا في أنهم لا يقلقون كثيراً ولا يضطربون في حالات الخسارة. وبناء على هذه الرؤية فهم أكثر المستثمرين قبولاً للدخول في مغامرات محسوبة، لأنهم يحملون رؤية المنحنى في صعوده وهبوطه طالما أن الناتج العام قياساً إلى النقطة المرجعية في صالحهم على المدى الطويل. وهؤلاء المستثمرون لا يكتفون بقراءة البيانات المالية وكشف

حسابات الشركات، بل يقرأون أيضاً الظروف السياسية، والتغيرات الاجتماعية، والتحويلات النفسية، والتقلبات المناخية، والأحداث الكبيرة المؤثرة، وهذا يمنحهم رؤية استراتيجية بعيدة المدى..

٢. المستثمرون الذين يتبعون النظرية القياسية:

هؤلاء يركزون فقط على المكسب المباشر، ويعتبرون الخسارة حدثاً استثنائياً يجزءون ويفزعون منه، ولهذا فهم يتجنبون المغامرة ويميلون إلى الاستثمارات المضمونة نسبياً حتى لا يتعرضوا لأي خسارة، فهم يريدون أن يروا الجزء الصاعد فقط من المنحنى ولا يحتملون أن يروا الهابط منه.

أنماط الشخصيات وأنواع الاستثمار:

من هنا نتوقع اختلافات في نمط الشخصيات بين أولئك الذين يفضلون الاستثمارات التقليدية وهؤلاء الذين يفضلون الاستثمارات في البورصة، فالفريق الأول يتميز بالتحفظ وعدم الميل للمغامرة، والرضا بالمكسب القليل المضمون، والرغبة في السيطرة على عوامل المكسب والخسارة، والإصرار على أن يديروا أموالهم بأنفسهم وتبقى تحت إبطهم أو تحت أعينهم أو «تحت البلاطة» (كما يقولون)، وربما تكون لدى هذا الفريق بعض السمات الوسواسية كالمبالغة في النظام والدقة وحب السيطرة، والحواز (الرغبة في الامتلاك والتخزين)، والقلق من المغامرات، والحرص على الأشياء. أما المستثمرون في البورصة فيميلون إلى حب المغامرة وارتياح المجهول،

ويبحثون عن المكسب السريع والمفاجيء والكبير، ولديهم طموحات عالية، وربما يستمتعون بحالات الصعود والهبوط حيث يصاحبها تغير مرغوب في حالاتهم الإنفعالية وفي كيمياء المخ والجسد، وقد تكون لدى بعضهم سمات شخصية المقامر الذي يستمتع بالمكسب والخسارة معاً حيث تصاحبها حالات من المشاعر المتغيرة التي تثير الدهشة وتدفع الملل. وقد يميل إلى التعامل في البورصة الشخصيات الانبساطية (ذات المزاج المرح المتفائل والعلاقات الاجتماعية المفتوحة) والشخصيات النواحية (ذات التقلبات في الشاعر)، كما يميل إليها أيضاً الشخصيات الانطوائية التي تميل إلى التعاملات من وراء ستار وتميل إلى التحليل ومحاولة التفسير والتأمل لأحوال السوق، وهؤلاء (أصحاب النمط الانطوائي التحليلي) قد يعملون محللين في مكاتب الاستثمار نظراً لقدرتهم على المتابعة الدقيقة والصبورة وربطهم للأشياء ومتابعتهم للأحداث التي يتوقع أن تؤثر في السوق وتتبعهم مؤشرات الصعود والهبوط..

الحالة النفسية للمتعاملين في البورصة المصرية:

وفي بحث أجراه كاتب المقال بالتعاون مع الأستاذ الدكتور وائل أبوهندي والأستاذة داليا الشيمي على ٩٩ من المتعاملين في البورصة المصرية والمشاركين في مؤتمر عن البورصة عقد في القاهرة بتاريخ ٢٠٠٦/٥/١١ كانت النتائج كالتالي (باختصار شديد): كانت أكثر فئة عمرية في



العينة هي ٣٥.٢٥ سنة، وهذا متوقع حيث إن الاستثمار في البورصة هو نوع جديد من الاستثمار يقبل عليه الشباب، ويهاهب كبار السن الذين يفضلون الأنماط التقليدية في الاستثمار..

وقد أقر ٦٣٪ من المتعاملين في البورصة أنهم مروا بحالات قلق شديدة في حالات الهبوط الحاد في البورصة، وهذا مفهوم ومتوقع، أما المفاجأة فكانت أن ٥٧٪ من المستثمرين ذكروا أنهم مروا بحالات قلق أيضا عند حصولهم على مكاسب كبيرة أو مفاجئة، أي أن المكسب والخسارة يصحبهما حالة قلق، فالعبرة هنا بالتقلبات والمفاجآت. وأفاد ٦٨٪ من أفراد العينة أن تعاملهم في البورصة قد أثر بالسلب على حياتهم الاجتماعية، وقال ٦٤٪ إن تقلبات البورصة أثرت بالسلب على حالتهم الصحية العامة، ولهذا فهم يعتقدون أن غير المتعاملين في البورصة أسعد حظا لأنهم. في نظرهم. يعيشون حياة مستقرة نفسيا وعائليا واجتماعيا. وهذه الاضطرابات النفسية والاجتماعية أثرت على قدراتهم في مواصلة أعمالهم في رأى ٧٩٪ منهم. وعقب أي هبوط شديد في البورصة فإن ١٠٠٪ قد عانوا مشاكل عائلية ومشاكل صحية، و٩٧٪ عانوا اضطرابات في النوم، و٨٤٪ شعروا بالإحباط مع الرغبة في بدء جولة جديدة من التعاملات..

وبناء على هذه المعاناة فإن ٨٩٪ من المتعاملين مع البورصة لا يحبون أن يعمل أبناؤهم في هذا المجال..

ومن ناحية اتخاذ القرارات فقد ذكر ٨٣٪ من أفراد عينة البحث أن قراراتهم تأثرت بحالتهم النفسية، واتضح أن القرارات في البورصة ليست دائما منطقية أو قائمة على حسابات وتحليل حيث ذكر ٥٣٪ من المشاركين في البحث أنهم يعتمدون على أحاسيسهم الداخلية في قراراتهم، وذكر ٥٣٪ أيضا أنهم يتأثرون بمسائل التفاؤل والتشاؤم كما يتأثرون بأراء الآخرين. وفي أوقات الهبوط الحاد فإن ٩٧٪ يقومون بالبيع أو الشراء بدون تفكير. وحوالي ٦١٪ من أفراد العينة قالوا بأنهم لا يميلون إلى المخاطرة في تعاملاتهم في البورصة وإنما يميلون للتعاملات المضمونة نسبيا،



بينما أكد ٥٤٪ من المشاركين أنهم ترددوا في اتخاذ قرارات مهمة وأن ترددهم أدى إلى خسائر كبيرة..

ومن ناحية الاعتقاد في مسألة الحظ فإن ٧٣٪ من المستثمرين يشعرون أنهم غير محظوظين..

الرعاية النفسية للمتعاملين في البورصة:

بعد أن بثت وكالات الأنباء أخبار انتحار عدد غير قليل من المتعاملين في البورصة بعد الانهيار الأخير في أكتوبر ٢٠٠٨، ووقوع كثيرين آخرين في براثن الاضطرابات النفسية والعائلية والاجتماعية، فقد أصبح من الضروري مراعاة الحالة النفسية للمتعاملين في البورصة على أساس أنهم فئة يعانون من تقلبات السوق بشكل يؤثر في حالتهم النفسية إلى الدرجة التي يمكن أن تدفعهم للتخلص من حياتهم حتى في البلاد التي تقل فيها معدلات الانتحار مثل مصر..

وفيما يلي بعض الخطوط العريضة لرعاية هذه الفئة من الناس:

من الضروري أن يعرف المتعاملون في البورصة المفاهيم الأساسية المتصلة بها والمؤثرة في حالتهم النفسية مثل:

١. الصعود والهبوط ليس حدثا استثنائيا في البورصة بل هو من طبيعتها الأساسية.
٢. الهبوط في البورصة مهما كان حادا فهو لا يعنى الانهيار.
٣. الخسارة في البورصة غالبا مؤقتة.

٤. الاستثمار في البورصة عملية طويلة المدى فلا يؤثر فيه بعض مراحل الهبوط.

٥. إذا كنت ممن يبحثون عن الأمان فمن الأفضل توزيع استثمارك على أكثر من مجال حتى تكون المخاطرة محسوبة ومحدودة، فإذا اهتزت بعض المجالات أو بعض الأسهم عوضتها مجالات أو أسهم أخرى.

إتاحة التقييم النفسي

للمستثمرين القابلين للتوتر والواقعين تحت الضغوط، ويتم هذا من خلال:

١. المقابلة الإكلينيكية مع متخصص في الطب النفسي.
 ٢. إجراء بعض الاختبارات النفسية خاصة تلك التي تقيس درجة القلق أو الاكتئاب أو الاضطرابات النفسجسمية.
 ٣. إجراء بعض الفحوصات الفسيولوجية لتقييم الاستجابات الانفعالية لتغيرات السوق، مثل متابعة معدل ضربات القلب، ضغط الدم، درجة التوصيل الكهربائية في الجلد، رصد نشاط المخ الكهربى أو الكيميائى أثناء ممارسة النشاط الذهني في التعامل مع البورصة.
- الدعم النفسي والاجتماعي خاصة في أوقات الضغوط، ويتحقق ذلك فيما يلي:**

١. وجود شبكة دعم عائلية واجتماعية قوية.
٢. إتاحة الفرصة للاستشارات النفسية لدى متخصصين نفسيين خبراء في مشكلات التعامل مع البورصة.
٣. جلسات علاج نفسى فردى (تدعيمى غالبا).
٤. تكوين مجموعات مساعدة ذاتية (Self Help) يشارك فيها المتعاملون في البورصة ويعلن عن موعد ومكان اجتماعاتها في كل مدينة، ويتناقش أعضاؤها في المشكلات التي تواجههم، ويتبادلون الخبرات في كيفية مواجهة تلك المشكلات.

● **الدعم الإلكتروني:** وذلك عن طريق مواقع على الإنترنت تقدم المشورة والدعم.

● **عقد دورات وورش عمل للتدريب على كيفية التعامل مع المشكلات النفسية المصاحبة لتقلبات البورصة..** ويمكن أن تتم هذه الدورات بشكل مباشر أو على الإنترنت من خلال E-training

● **الدعم الدينى:** والذي يتمثل في رؤية المكسب والخسارة من منظور أوسع، وتأكيد الطمأنينة على الرزق، واللجوء إلى الله في أوقات الأزمات بالدعاء، والالتزام ببرنامح من العبادات، وإخراج الزكاة لتطهير المال وإنمائه، والتبرع للأعمال الخيرية وخدمة المجتمع، وتحرى الحلال والحرام في المعاملات المالية، كل ذلك يخفف من حدة الشره نحو المال، ويحمي النفس من الانهيار تحت تأثير التقلبات المالية، ويعطى للإنسان معنى أوسع للحياة.

